فنية العنونة في القصة الفلسطينية المجموعة القصصية (أرض البرتقال الحزين) لغسان كنفاني أنموجا

The art of title in the Palestinian story, the short story collection (Land of Sad Oranges) Ghassan Kanafani

لطروش عائشة [1*]

[1] جامعة أحمد بن بلة 1 وهران (الجزائر)، aichalatroch27@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2024/10/13 تاريخ المراجعة: 2024/11/25 تاريخ النشر: 2024/12/15

ملخص:

"أرض البرتقال الحزين" من أبرز أعمال الكاتب الشهيد الفلسطيني "غسان كنفاني" الروائية والقصصية، هي مجموعة قصصية لاقت رواجًا واهتمامًا كبيرًا من النقاد والباحثين والدارسين، حيث تتمحور حول القضية الفلسطينية، وفيها يؤرخ لمعاناة الإنسان الفلسطيني المهجر، هذه المعاناة التي شكلت مأساة "غسان كنفاني" الشخصية، من خلال رمزية البرتقال الذي اشتهرت فيه فلسطين، وأصبح رمزًا من الرموز الفلسطينية، ويحمل ملامح الشخصية الفلسطينية.

أما عنوان الرواية، فقد اختاره الكاتب ليكشف عن ارتباط جوهري من نوع خاص، الارتباط والالتصاق العميق بين البرتقال والحزن الفلسطيني مما نتج عن ذلك بِنية جمعت بين أرض البرتقال والحزن، هذا البرتقال الذي أضفى حزنًا مقيمًا متراكمًا على مر السنين. في حين يُعطي الكاتب من خلال مجموعته القصصية للقارئ تمهيدًا لقصص فلسطينية متعددة تجسدّ المأساة التي يعيشها الفلسطيني.

الكلمات المفتاحية: غسان كنفاني، القصة القصيرة، العنونة، أرض البرتقال الحزين، السرد الفلسطيني.

Abstract:

'The Land of the Sad Orange "is one of the most prominent works of the Palestinian martyr" Ghassan Kanafani "novel and storytelling, a story collection that was very popular and attention from critics, researchers and scholars, where it revolves around the Palestinian issue, in which it chronicles the suffering of the displaced Palestinian person,

this suffering that formed the tragedy of Ghassan Kanafani 'personality, through the symbolism of oranges in which Palestine is famous, became a symbol of Palestinian symbols, and carries the features of the Palestinian personality.

As for the title of the novel, the writer chose it to reveal a fundamental association of a special kind, the correlation and deep adhesion between the Palestinian oranges and sadness, which resulted in a structure that brought together the land of orange and sadness, this orange, which gave a sorrow of accumulated residents over the years. While the writer, through his story collection, gives the reader a prelude to multiple Palestinian stories that embody the tragedy of the Palestinian.

***Key words**: Ghassan Kanafani, short story, Alonouna, the land of sad orange, Palestinian narration.*

* المؤلف المراسل. د/ لطروش عائشة

مقدمة:

تعتبر القصة من أبرز فنون الأدب العربي عموما، وفنون السرد على وجه الخصوص، حيث تعد من بين الأجناس الأكثر حضورا في الأعمال الأدبية. فقد أثبتت جدارتها كونها تعكس الواقع المعيشي للإنسان.إنها عرض لمجموعة من الأحداث الواقعة في فترة زمنية محددة إما أن تكون أحداثا واقعية أو نسيجا من الخيال، يدور حولها محور القصة. فالقصة جنسا أدبيا مميزا عن غيره في الساحة الأدبية، ليصبح بذلك يتبوأ مكانة رفيعة في الدراسات السردية.

القصة من الفنون النثرية التي لا يقل شأنا عن الرواية والمسرحية، والتي لاقت اهتماما كبيرا من طرف الكثير من الكتاب والأدباء، الذين اتخذوا من القصة موضوعا لبحوثهم ودراستهم، ومن أبرزهم الكاتب " غسان كنفاني " والذي يمثل نموذجا خاصا للكاتب السياسي الروائي والقاص والناقد،كان مبدعا في حياته كما كان مبدعا في كتاباته ونضاله واستشهاده، الذي حمل لواء القضية الفلسطينية على عاتقه مصوّرا معاناته وآلامه وآماله وذلك من خلال مجموعته القصصية " أرض البرتقال الحزين ".فهي من أبرز أعماله الروائية والقصصية، الذي التحمت حياته بالمقاومة الفلسطينية التحامًا عضويًا، وكان من الحالمين الذي عملوا على تقصير المسافة بين

الفعل والكلمة، واستطاع في عمر قصير إنتاج عشرات القصص والروائيات والأعمال الإبداعية. و سيظل الكاتب والشهيد "غسان كنفاني" شخصية فلسطينية فريدة من نوعها، هذه الشخصية التي ظلت تحمل قضية فلسطين بين جوانبها.

" أرض البرتقال الحزين " مجموعة قصصية لاقت رواجًا واهتمامًا كبيرًا من النقاد والباحثين والدارسين، وهي تتمحور حول القضية الفلسطينية، وفيها يؤرخ لمعاناة الإنسان الفلسطيني المهجر، هذه المعاناة التي شكلت مأساة غسان كنفاني الشخصية، من خلال رمزية البرتقال الذي اشتهرت فيه فلسطين ويافا خصوصًا، وأصبح رمزًا من الرموز الفلسطينية، ويحمل ملامح الشخصية الفلسطينية. ويكشف عنوان الرواية الارتباط والالتصاق العميق بين البرتقال والحزن الفلسطيني، هذا البرتقال الذي أضفى حزنًا مقيمًا متراكمًا وداميًا على مر السنين.

وعليه، سنسعى من خلال ورقتنا البحثية إلى الوقوف عند فنية العنونة في المجموعة القصصية " أرض البرتقال الحزين" "للكاتب الفلسطيني "غسان كنفاني"، والتي كانت لها الدور الفعّال في استقطاب القارئ وتحفيزها لقراءة النص القصصي الفلسطيني.عنوان لفت انتباهي، وزرع فيّ الفضول لدراسة هذه المجموعة، والرغبة في اكتشاف فنية العنونة في بعدها الدلالي والإيحائي. فالقصة شكل سردي مبني على ركائز ومكونات تأتي شارحة للعنوان ولأحداث النص القصصي، والعنوان يعد مفتاح الدخول لنص القصة.كما أن للعنوان

أهمية كبيرة، يعتبر سيمة كل نص وهو أول ما يعترضنا وبوابة الولوج لكل نص، وبهذا الدافع سنطرح بعض التساؤلات:

*على أيّ أساس تمّ اختيار الكاتب لعناوين مجموعته القصصية؟
* هل تمكنت عتبة العنوان من الكشف عن القضايا المعالجة داخل النص القصصي؟

1 _ عتبة العنوان:

لقد حظيت العناوين بأهمية كبيرة في الدراسات الأدبية الحديثة، باعتبارها أحد المفاتيح الأولية والأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها وتأويلها، والتعامل معها.كما تكمن أهمية العنوان في كونه يؤدي دورا أساسيا في فهم المعاني العميقة للعمل الأدبي، ولأن العنوان ذو دلالات وعلامات رامزة للنص أو للجزء منه، اهتمت الدراسات بكل ما يحيط بالنص من عناوين وهوامش ومقدمة..

العنوان نوع من التعالي النصي الذي يحدد مسار القراءة، ويظهر الرؤيا الأولى للكتاب، فهو أول عتبة يتطرق إليها القارئ بحيث يضيف له إيحاءات دلالية حول مضمون النص لفك مغالق النص والغوص بين طياته.وبهذا يكون العنوان هويّة نصه، وجامع شتاته، وعنصر جذب للقارئ،فهو يحمل شحنات وأفكار دلالية وإشارات وعلامات متنوعة ومختلفة." لأن انبناءه على متوقع تأويلي ذكيّ سيجعل منه موضع خروقات قرائية متعددة تهبه الكثير من العمر والخلود، ومن ثمة فالعنوان منخلق ومهندس في تركيبته المعجمية و الدلالية لغرض التلقي والتأويل"[1].

يعد العنوان عنصرا مهما، وعتبة رئيسة من عتبات النص، بل هو أهم عناصر النص الموازي وملحقاته، " نظرا لكونه مدخلا أساسيا في قراءة الإبداع الأدبي، والتخيلي بصفة عامة، والروائي بصفة خاصة [2]، يعد العنوان من أهم العناصر التي يستند إليها النص الموازي،هو دراسة للعتبات المحيطة " بالنص ويقصد بهاته العتبات المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية و الأساسية بالعمل المعروض" [3].

كما أن العنوان يكون في أول النص وبدايته، وهو الذي يصف النص ويجليه ويميزه عن غيره، وقد يغري القارئ فيدفعه لقراءة النص، أو ينفره منه و يثنيه عن قراءة النص. فعلى القارئ أو الناقد أن يستنطق دلالة العنوان و يستقرئه أفقيا وعموديا قبل الولوج إلى النص.

وفي تعريف آخر:" إن العنوان بمثابة سؤال إشكالي، بينما النص هو بمثابة الإجابة عن هذا السؤال، إن العنوان يحيل عن مرجعية النص ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته "[4]

يمكن القول أنّ " العناوين عبارة عن رسالة لغوية يتم التبادل بين المرسل والمرسل إليه فإن الطرفين ساهما في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل ويؤولها بلغته أو م

وراء لغويته " [5].من خلال ما سبق ذكره يعتبر العنوان أول عنبة يتطرق إليها القارئ بحيث يضيف له إيحاءات دلالية حول مضمون النص لفك مغالقه والغوص بين طياته.

2_ القصة الفلسطينية:

تحتل القصة مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الحديثة، وذلك لما عرفته من تطور وانتشار واسع في الأقطار العربية .إذ تكاثرت الأعمال القصصية وتنوعت تجاربها، فالقصة ضرب من الخيال النثري يصوّر فيها الراوي مختلف قضايا عصره وبيئته، باعتبارها وثيقة تترجم تلك الأفكار والآراء والأحاسيس من قبل القاص. فالقصة " مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة،على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيب القصة متفاوت من حيث التأثير والتأثر "[6]،ومن خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن القصة القصيرة تسرد أحداث من واقع الإنسان المعيش أو من مخيلة الكاتب والهدف منها قصد التأثير والتأثر.

أما القصة الفلسطينية شأنها شأن الأنواع الأدبية أخرى، بحكم تعالج قضية الصراع العربي الصهيوني، هذا ما جعل الكاتب أمثال " غسان كنفاني " يبدعون فيها خاصة أنها تمثل طبقة اجتماعية وحياة عرب تحت وطأة الاستعمار.

وإذا تحدثنا عن القصة الفلسطينية فقد تأخر ظهورها قليلا بسبب عدّة أسباب، يقو الدكتور " خليل يعزو " عن ذلك:"إنّ عدم نضوج القصة في ذلك الوقت بسبب الانقطاع التّام عن العالم العربي،وعن الثقافة الغربية مما أعاق تطور و ازدهار هذا الضرب من الأدب، بالإضافة إلى قلة انتشار الكتابة والقراءة بين العرب الذين بقوا في وطنهم."[7]، بالتالي فالظروف الاستعمارية في فلسطين أخرت ظهور ونضوج هذا الفن القصصي عند الأدباء الفلسطينيين، إضافة إلى أن الأدباء آنذاك عالجوا القضية الفلسطينية بواسطة الشعر.

ويمكن القول أن القصة الفلسطينية في تلك الفترة كانت مشحونة بالبؤس والألم وحسرة الفقد والطرد واللجوء، خاصة المعاناة التي عاشها الإنسان الفلسطيني وهو يبحث عن لقمة العيش والأمان، معاناة لم يشهد لها العالم مثيلا، وبهذا اختلفت خصائص القصة الفلسطينية عن القصة العربية في تلك الفترة، والتي تلونت بنزيف مرارة

التشرّد والقهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واستطعت أن تصوّر الحركة الواقعية دون الاهتمام بالصيغ الفنية، وأن تتفاعل مع الواقع الجديد سياسيا واجتماعيا على أرض الشتات.وبذلك خرجت لضرورة تلبية حاجات اجتماعية بحتة عن الرقم الكلاسيكي التخيّلي إلى الواقعي المجرّد، وأن تعتبر عن حياة الحرمان التي يعيشها الفلسطينيون في المنافي والمخيّمات "[8] نفهم من هذا المعنى أن القصة الفلسطينية قد وجدت أرضا خصبة للانطلاق نحو الواقع الاجتماعي والسياسي وحتى الرمزي، حيث نجد الكاتب والقاص الفلسطيني " غسان كنفاني " يقول: " أنّ فلسطين تمثل العالم برمته في قصصي، وقد أصبحت أرى فلسطين

رمزا إنسانيا كاملا "[9]، استطاع " غسان كنفاني " من خلال قصصه الفلسطينية أن يعبّر عن أصالة الشعب الفلسطيني، وأن يلامس الجرح الإنساني لمعاناته، وأن يتشبث بقيمه الوطنية وثوابته المحدّدة بالشوق إلى فلسطين، ومن نماذج أعماله القصصية: " رجال في الشمس " و" عائد إلى حيفا " و" أرض البرتقال الحزين"...وهذه الأخيرة من أبرز القصص المعاصرة التي أنتجها الكاتب وطرح خلالها عدة قضايا تتعلق بالقضية الفلسطينية في مجموعة قصصية قصيرة، والتي لفتت انتباهي من خلال عناوينها المشحونة بالحمولة الدلالية والإيحائية.

3_ العنوان والقصة:

العنوان هو العتبة الأولى من عتبات النص الأدبي، فهو عبارة عن قطعة لغوية هي في الغالب أقل من جملة تحمل عدة دلالات التي يمكن أن يحددها القارئ ويشكل بها معنى خاص، فالعنوان إشارة مختزلة ذات بعد سيميائي واسع للنص، لذلك يعد العنوان عنصرا ضروريا في تشكيل الدلالة النصية " قد أشرنا قبل إلى أن العنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته ونقول هنا: أنه يقدّم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد يتنامى ويعيد إنتاج نفسه فهو إن صحة المشابهة بمثابة الرأس للجسد." [10] بمعنى أن العنوان هو الموجه الرئيسي لمتن النص فهو يؤسس دلالة النص، بحيث يعيننا لمعرفة ما يدور حوله النص وتفكيك شفراته المبهمة وشبه بمثابة الرأس للجسد، فلولا الرأس لما كان الجسد.

يعد العنوان عبارة عن نص يحمل العديد من الإشارات المختزلة للنص، فهو عنصر ضروري في تشكيل الأدلة النصية، يساعدنا بالإمساك بخيوط النص ومعرفة ما يدور حوله، والنص يأتي لشرح العنوان من جهة ومن جهة أخرى لعرض وتحليل النص.في المجموعة القصصية " أرض البرتقال الحزين " لغسان كنفاني، والتي نشرت سنة 1962، وهي تضم عشرة قصص قصيرة منها: أبعد من الحدود، السلاح المحرّم، ثلاث أوراق من فلسطين التي قسمها الكاتب إلى ثلاث قصص: ورقة من الرملة، ورقة من الطيرة، ورقة من غزة،....وغيرها من القصص التي كانت محاولة " كنفاني الثانية لتأسيس رؤيته الإبداعية للأفق الفلسطيني الذي يسعى برسمه وبكلماته، والأفق يأتي ممتزجا بالذاكرة، كأن الفلسطيني لا يستطيع أن يتحرر من ذاكرته في لحظات من الذهول أمام المأساة....كأن القصة القصيرة عند كنفاني هي لحظة تلخيص علاقات متشابكة "[11]، لا يمكن دراسة العنوان منفصلا عن النص، فالعلاقة بين العنوان والنص علاقة تكاملية، فالعنوان فضلا عن وظيفته في تعريف النص فإن له وظيفة تأويلية حين يتعلق مع النص سيمائيا ليتحول إلى علامة إرشادية تقود القارئ داخل النص[12]

وبهذا نجد العنوان يشكل بنية إشارية دالة، تحمل الكثير مما قد يخفيه النص، بل قد يحيل إلى مالا يقوله، فيقول مالا يقوله النص، و " واجهة النص الإشهارية حيث يكشف عن طبيعة النص ويسهم في فك شفراته، وتوضيح الغموض الذي يكشف النص، فهو بمثابة فاتحة النص واختصار الاختصار[13] كما أنه ليس جنسا أدبيا حرا بل يرتبط بالنص كارتباط الجزء بالكل، فلا تنتج دلالة العنوان إلا من خلال قراءة

النص، فالعلاقة بين الاثنين كعلاقة الرأس بالجسد، إذ يغري العنوان بالولوج إلى النص ويحيل النص إلى العنوان.

أما القصة فهي عبارة عن عنوان ونص، ويتكون من خلالهما العمل الأدبي، إذ تتكون القصة من المزيج المتشكل من النص والعنوان، والاقتصار على أحد طرفي هذه الثنائية لا يعني إهمالا للطرف الآخر فحسب، بل يعني إهمالا لما تم الاقتصار على دراسته كذلك.

على الرغم من أن العنوان يعد عتبة حقيقية تقضي إلى النص وتقود إلى فك كثير من طلاسمه وألغازه، إلا أنه أحيانا قد يلعب دورا تمويهيا يجعل القارئ في حيرة من أمره، يربكه ويخلق له تشويشا قهريا، قد يقوده إلى متاهة لا مهرب منها سوى إلى النص ذاته، وذلك لا يكون إلا نادرا،بل نجده " يعكس لنا النص في تضاريسه السطحية والعميقة، ومن ثم فالعنوان هو النص، والعلاقة بينهما علاقة تفاعلية وجدلية، وهو كذلك بؤرة النص وقيمته الكبرى التي يتمحور حولها، وما النص إلا تكملة للعنوان، وتمطيط له عبر التوسع فيه وتلقيبه في صيغ مختلفة،[14]

فعنوان القصة لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا على الغلاف " إنه المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مهمة الدخول في أغواره و تشعباته الوعرة "[15]، ويفرض العنوان على الدارس أن يتفحصه ويستنطقه قبل قراءة النص، فهو رأس العتبات وعليه مدار التحليل، كما يعد علامة فارقة تمنح الجاذبية للكتاب على حساب القارئ والمبدع، وقد اعتبر بعضهم العنوان ضربا من التسويق التجاري للكتاب قد يفيده وقد يضربه، فيما رآه آخرون إعمالا للإبداع والفن الكتابي يوحي بشيء من تفاصيل العمل الأدبي.

كما أن عنوان القصة يواجه تعقيدات كثيرة،لأن السرد عمودها الفقري وشكلها الفني، ودراسة العنوان تأتي وفق ما يتميز به من وظائف بصرية وجمالية و ترويجية و إغرائية ودلالية، لهذا يطرح الدارس على نفسه

لكثير من التساؤلات اتجاه العنوان، و" المهم في العنوان هو سؤال الكيفية، أي كيف يمكننا قراءته كنص قابل للتحليل والتأويل يناص نصه الأصلي ؟؟."[16]

3_1_ العنوان الخارجي: أرض البرتقال الحزين:

إن العنوان الخارجي هو ركيزة النص، ويحيل على فضاء النص الداخلي، فالعنوان يخلق أجواء إغرائية وحب الاطلاع على ما يدور وراء هذا العنوان، وأحيانا يستعمل لجذب القارئ وزيادة الرغبة في نفسه، ومن هنا يكون المؤلف قد حقق ما يريد من خلال التلاعب بأفكار ومشاعر المتلقي.

يشكل العنوان الرئيسي أو الأصلي، ومنهم من يسميه العنوان الحقيقي، العنوان الأول الذي يوضع في واجهة الكتاب أي في غلافه الخارجي، " تلك الألفاظ التي يضعها مؤلف الكتاب نفسه على أول ورقة من كتابه "[17]. و" يمثل الكائن الرئيسي وهو الأساس والركيزة في عملية العنونة ذاتها."[18]

اختار الكاتب " غسان كنفاني " عنوان " أرض البرتقال الحزين " عنوان رئيسيا لمجموعته القصصية، التي تشكل علامة وإشارة من الكاتب ليس من باب الصدفة والاعتباط أن الكاتب وقع اختياره عليها لتكون عنوانا لمجموعته، هنا يتضح لنا موقف الكاتب " حين يرسم في قصصها المختلفة الأوجه المتعددة لمأساة الفلسطيني، كأنه يريد من القصة أن تكون مرآة للواقع والذاكرة ومن اللغة أن تكون مجموعة من الانحناءات المتعددة أمام الألم الإنساني، الذي يجسد في هذه المرآة " [19]، وهو يقدم لنا مجموعة من القصص التي تصور وتجسد مأساة شعبنا الفلسطيني، وتتراوح أحداثها بين يافا وعكا وبيروت.

وعبر تركيب العنوان " أرض البرتقال الحزين " في بنيته السطحية بدأ بجملة اسمية،أولها نكرة، وجاء اسم أرض نكرة أي غير معرفة كما هو حال أرض فلسطين، فهو يشير إلى أرض فلسطين المحتلة التي صار أهلها غير معترفين بهم في أرضهم وتنكيرهم وسلبهم حق الاعتراف بهم كمواطنين ولهم حقوقهم في أرض فلسطين.

أما العنوان في بنيته التركيبية العميقة، فجاء على النحو التالي:

أرض	خبر مرفوع لمبتدأ محذوف مقدر ب (هذه) وهو مضاف
البرتقال	مضاف إليه مجرور
الحزين	صفة مجرورة

والصفة هنا لها دور أساسي في تحديد اتجاه الخبر، حيث أراد القاص نقل لنا بعد سلبي يوحي لنا مدى حزن والضمور الذي خلفه المحتل عند تشريده للفلسطينيين وطردهم من وطنهم وفصلهم عن أرضهم.

ف " أرض البرتقال الحزين: جملة حذف الكاتب المبتدأ في البنية العميقة برغبة الكاتب في الإسراع بنقل الخبر إلى القارئ نظرا لأهميته واستقرار تفكيره عليه دون المبتدأ، ألا وهو إخبارنا بقصة الأرض والوطن والتشرد والحزن والألم.

"**أرض البرتقال الحزين** " جملة اسمية "بانزياح طافح بالشعرية، تمثل الأرض أرض فلسطين، تتميز هذه

العلامة بلين إحاليّ فريد كونه طافحا بالإنسانية، فيسهل سحبه على كل أرض مقهورة، ولعل السارد تفطن إلى هذا فخصص الأرض المرادة حين أضاف علامة البرتقال دون خيانة للنزعة الإنسانية" [20]، فأرض

فلسطين إلى جانب كونها أرض الزيتون، فهي أرض البرتقال الذي ستمد حزنه من حزن هذه الأرض، ومن غبن هذا الشعب وقهره، "أرض كانت مهبط الديانات والأنبياء ومجمع الطوائف، تدين بالمحبة، يصبح شعبها بين ليلة وضحاها شتاتا، من أجل أسطورة انكتبت بتحيّز مغرض، لا يؤمن به أهله فضلا عن غيرهم، لتبدأ المعاناة."[21]

المجموعة القصصية "أرض البرتقال الحزين " تضم عشرة قصص:أبعد من الحدود، السلاح المحرّم، الأفق وراء البوابة، ثلاث أوراق من فلسطين قسمها الكاتب إلى ثلاث قصص: ورقة من الرملة، ورقة من الطيرة، ورقة من غزة، الأخضر والأحمر، أرض البرتقال الحزين، قتيل في الموصل، لا شيء..كانت هذه القصص " محاولة كنفاني الثانية لتأسيس رؤيته الإبداعية للأفق الفلسطيني الذي يسعى برسمه بكلماته. والأفق يأتي ممتزجا بالذاكرة، كأن الفلسطيني لا يستطيع أن يتحرر من ذاكرته في لحظات من الذهول أما المأساة....كأن القصة القصيرة عند كنفاني هي لحظة تلخيص علاقات متشابكة ".[22]

قصص "أرض البرتقال الحزين" تتسم بمجموعة من الخصائص والسمات الفنية، أبرزها التنوع في استخدام التقنيات السردية، والتزامه الطابع التوثيقي والتوازن الفني بين الموضوع والتعبير القيمي. حيث ترسم لنا في قصصها المختلفة الأوجه المتعددة لمأساة الفلسطينيين، وهي محاولة لتأسيس رؤية غسان كنفاني الإبداعية للأفق الفلسطيني الذي يسعى إلى رسمه وتصويره والتعبير عنه بكلماته، وهذا الأفق يأتي ممتزجًا وملتصقًا بالذاكرة، وكأن الفلسطيني لا يمكنه التحرر من ذاكرته في لحظات الذهول أمام المأساة التي ما زالت مستمرة ومتواصلة حتى الآن.

3 _ 2 _ العناوين الداخلية:

نقصد بالعنوان الداخلي أو العناوين الداخلية " تلك التي بمقتضاها يفصل الكاتب الشريط اللغوي أو (المساحة اللغوية)بعضه عن بعض لغايات مختلفة بمؤشرات لغوية أو طباعية، وهي في العموم تؤدي وظائف

مشابهة ومماثلة لما يؤديه العنوان العام "[23] يكون العنوان الداخلي عبارة عن عناوين تندرج تحت العنوان الرئيسي، من أجل أداء غايات مختلفة.

فالعنوان الداخلي يساعد الكاتب على الفصل بين هذه النصوص والمواضيع، فهناك الكثير من الكتب والمجلدات تحتاج إلى هذا النوع من العناوين.

سنتعرف على معاني ودلالات عناوين النصوص القصصية والحقول الدلالية والألفاظ من خلال البنية الدلالية، والعنوان بكونه نصا موازيا للنص الأصلي، لينتج لنا صورة متكاملة بين العنوان ونص القصة، وبداية سنتتبع المجموعة القصصية " أرض البرتقال الحزين " للكاتب " غسان كنفاني " من خلال إبراز العلاقة بين دلالات العنوان وربطها بالقصص.

فجاءت هذه المجموعة القصصية " أرض البرتقال الحزين " تكشف لنا عن ارتباط جوهري من نوع خاص،نتج عن ذلك بنية جمعت بين أرض البرتقال والحزن، فتتضح لنا العلاقة بينهما عند الخوض في قراءتنا لنصوص المجموعة القصصية "أرض البرتقال الحزين "، حيث تبرز قصص هذه المجموعة فلسطين بأوجهها المتعددة، فلسطين المأساة اليومية التي يعيشها اللاجئ، كما في قصة " أبعد من الحدود " حيث يتم تحويله من إنسان إلى حالة، وفلسطين الذاكرة المكسورة، كما في قصة " الأفق وراء البوابة " فتصير بوابة مند ليوم مكانا للانكسار الداخلي، وفلسطين في قصة " السلاح المحرم " بحيث لا يكون السلاح ولا تكون إمكانية الاستلاء علي "[24]، فتتكامل دلالة العنوان في المبنى الواقعي مع تماثل فلسطين التي لا تستطيع أن تتحرر من ذاكرتها المأساوية والحزينة وأرض البرتقال الحزين التي تحمل فائق أكتافها كل القصص الأليمة التي يعيشها الفلسطينيون،كما جاء في آخر القصة: " رأيت في الوقت ذاته المسدس الأسود على الطاولة و إلى جواره برتقالة...وكانت البرتقالة جافة ويابسة , وكانت حالة المسدس والبرتقالة اليابسة الموقف الذي يجسد الحزن والمأساة والتشرد عن الأرض التي غاب عنها الماء فيبست وجفت ويبس كل ما فوقها، و المسدس الأسود يمثل المقاومة والنضال والجهاد في سبيل فلسطين والتمسك الملّح في أملهم بالعودة.

تبدو " القصة القصيرة هنا وكأنها لحظات من واقع كبير كأنها مقاطع لرواية لم تكتمل وكأنها القصة القصيرة عند " غسان كنفاني " هي لحظة تحاول علاقات متشابكة فتصبح الكتابة عن فلسطين بحثا عن الطريق الموصول إليها "[25]

_ أبعد من الحدود:

للغوص في أصل الكلمة نرجع إلى المعاجم العربية، لضبط الحقل المعجمي لهذا العنوان، فكلمة " أبعد ": بعد، الباء والعين والدال أصلان: خلاف القرب، والبُعد البَعَد الهلاك.....والأبعاد خلاف الأقارب."[26]

أما في معجم قاموس المحيط: " بُعدا وبعدا فهو بعيد وباعد وبعاد، ج بعداء، وبعد وبعدان....وبعد باعد مبالغة...وأبعده الله: نحاه عن الخير ولعنه.. وبعد ضد قبل " [27]

وفي مختار الصحاح نجد أن كلمة البعد تعود في الأصل إلى كلمة " ب ع د (البعد) ضد القر وقد بعد بالضم بعدا فهو بعيد أي متباعد و(أبعده) غيره، والأبعد أيضا الخائن والخائف...والأباعد ضد الأقارب...."[28]

يمكن القول أن الحقل المعجمي " أبعد " يدور حول المسافات والأبعاد التي هي عكس الاقتراب، وإذا توحي إلى تغيير من مكان إلى مكان أو من حال إلى حال...وأبعد هو اسم تفضيل لبعد.

أما حرف " من " حسب موقعه في الجملة هو حرف جرّ معناه هنا الابتداء،والابتداء هو الابتعاد أي البعد بدأ من الحدود، وهذه الجملة هدفها الإخبار بوقوع الابتعاد، وبداية هذا الابتعاد هو الحدود.

وترجع كلمة " الحدود " في الأصل إلى " الحدّ: الحاجز بين شيئين، ومنتهى الشيء....والمحدود: المحروم والممنوع من الخير."[29]

نرى أن الحقل المعجمي لجملة " أبعد من الحدود " يدور حول البعد والابتعاد من منتهى الحد، وهذا يربطنا بمضمون القصة التي يتحدث فيها الكاتب بلسان الفلسطيني المظلوم الذي تماد معه المحتل لأبعد الحدود، يعني أن المحتل فات حدّه في تعامله مع الفلسطينيين، فهو لا يكفيه أنه طردهم من وطنهم وشردهم وسلب حقهم، ومع كل هذا فهو أي عمل شنيع سيئ يعمله ويخطط له، بلصقة بالفلسطينيين. فالكاتب بالرغم ما يحدث لهم من متاعب وسوء معاملة شديد يروي القصة: "لابد من أن أكون موجودا رغم كل شيء ,,,, لقد حاولوا أن يذوبوني كقطعة سكر في فنجان شاي ساخن...وبذلوا، يشهد الله، جهدا عجيبا من أجل ذلك... ولكنني مازال موجودا رغم كل شيء "[30]

جاء العنوان مختصرا لهذه القصة التي يطرح من خلالها " غسان كنفاني " خيانة السّلط لما تؤمن به، ففي الوقت الذي يعاني فيه أهل فلسطين اللجوء والحرمان، يعيش " الرجل المهم " حياة الملوك، فينام طفله في الحرير الأزرق "، ويلبس هو بدلة بربطة عنق، وله مشجب يعلق عليه بدلته، وليس للرجل المهم عمل سوى ملاحقة بني جلدته من المناضلين لأجل الوطن،وتبلغ قسوته والخوف الذي ينشره بين أبناء جلدته أن لا يجد بعضهم إلا أن يخاطر هربا من فضاعته " فيقفز من النافذة أثناء التحقيق بين يديه " [31]، وهذا إشارة ذكية من الكاتب في رسم صورة غير مألوفة للغبن الذي يتعرض له المواطن الفلسطيني، فبالإضافة إلى فظاعة الاحتلال، هناك أيضا ما تمارسه الفصائل ضدّ بعضها البعض في محاولة التمركز، يتجلى هذا بوضوح في الاغتيالات السياسية التي لا تنتهي.

قصة «أبعد من الحدود»؛ بطلُها ممن يؤمنون بأنّ الوطن ليس للبيع. ويربط ذلك بالتعريف العلمي لحق «المواطنة» حيث قال للمُحقق: «أنا لستُ صوتاً انتخابياً، فأنا لستُ مواطناً، وممنوع من حق الاحتجاج، فماذا سأخسر إذا بقيتُ وراء المزلاج؟»، أي استمراره في السجن. وهكذا، قدم كنفاني من دون مباشرة، رؤيته حول الاختيار بين أمريْن: نفي المواطنة أم الاعتقال؟ فكان مع الاعتقال حتى لا يذوب في الواقع الاستسلامي.

وهذا الشاب – نظراً إلى وعيه السياسي- يسخر من الدعاية الفجة حول التعاطف مع اللاجئين، «زوروا مخيمات الفلسطينيين قبل أنْ ينقرضوا»، ويسخر من التنظيمات الفلسطينية التي تحصل على التمويل، ولكنها غير جادة في المقاومة، فهم يعملون «على المزايدات الشعبية، وأصبحوا مؤسسة من مؤسسات الحياة السياسية التي تدر الربح يميناً ويساراً». واختتم هذا الشاب أقواله للمحقق ب "أنت يا سيدي تستطيع أنْ تشنق واحداً منا، فتربي بجسده الميت ألفاً من الناس دون أنْ تحمل هماً أو خوفاً أو تأنيب ضمير... أية حياة هذه؟ الموت أفضل منها".

تدور أحداث قصة "أبعد من الحدود" حول شاب هارب من الأجهزة الأمنية، سُجن لأنه ألقى وعاءً كاملاً من الحليب على رأس أحد الموظفين قائلاً له:"لا أريد بيع وطني"، فقد استشهدت أمه في مدينة صفد، وله أخت تزوجت في بلد آخر، بالنسبة لأبيه فهو يُقيم في بلد مختلف ولا يستطيع اللقاء بأي أحدٍ من أبنائه، وله أخ لا يعرف مكانه، وبالرغم من كل الظروف رفض الشاب القيام بأي شيء قد يمس وطنه بسوء.

_ الأفق وراء البو ابة:

" الأفق وراء البوابة ": عنوان جاء في بنيته التركيبية جملة اسمية مركبة من ثلاثة مفردات (الأفق: مبتدأ، وراء:ظرف مكان وهو مضاف، البوابة: مضاف إليه). أما على المستوى الدلالي، فيحمل عنوان " الأفق وراء البوابة " معاني اليأس وضياع الأمل وصعوبة لمّ الشمل وذلك لوجود هذا الفاصل بين الأرض المحتلة والأرض الباقية، بوابة منذ اليوم وهي رمز تاريخي يحمل الكثير من الدلالات في الموروث الفلسطيني، سميت بهذا الاسم على اسم " مند ليوم ". تاجر يهودي يقع بين الأحياء اليهودية والسلطة التي تقع تحت السيطرة الأردنية عام 1948، هاجم الأردنيين المنزل وبقي منه جزء من الجدار الأمامي مع بوابة مدخل المنزل، ومن ثم استولت القوات الإسرائيلية على الجزء الأول من القدس واندثرت البوابة وبقيت علامة تاريخية.

جاء عنوان القصة رمزا تاريخيا تلخصه لنا القصة ذاته فبوابة مند ليوم هي مكانة الانتصار الداخلي في نفوس الفلسطينيين فهي بوابة تفصل بين الكذب والحقيقة سواء في قصة البوابة التي تخفي حقيقة موت " دلال" أو في الواقع وجود مفارقة، فالأفق من المعتاد تحمل الآمال والأحلام والأهداف، أما الأفق في القصة يحمل الآلام والخيبة والحيرة وصعوبة التحصل على الشيء، البوابة هي الاحتلال الصهيوني الذي طبق كل ما يشتهيه في أرض فلسطين حتى في آمالهم وأحلامهم ألا هو تحرير فلسطين وتحقيق النصر، كما جاء في متن القصة عبارات تحمل الأسى الفلسطيني " حاولت خالته أن تقول شيئا ولكنها لا تستطيع، تزاحمت سيول من الكلمات في خنجرتها فسكتت وابتسمت ابتسامة باهتة لا معنى لها، ثم مدّت يدها الراجفة تمسح على كتفه يحنو كفحي فتأخذ ينظر بهدوء إلى الأفق الذي يقع خلف بوابة مند ليوم "[32]

في قصة «الأفق وراء البوابة»، يأخذ البطل أخته الصغيرة لتعيش معه في عكا، وكلما سألته أمه عن أحواله وأحوال أخته يقول لها: «نحن بخير»، وبعد عشر سنوات يشعر بتأنيب الضمير لأنه كان يكذب على أمه، إذ أن جيش الاحتلال هاجم عكا، حاول الدفاع عن أخته وعن نفسه، ولكن بندقيته كانت مثل العصا. ماتتْ أخته وأشفق على أمه. اعتقد أنّ الكذب عليها أرحم من صدمة الفجيعة. ولكن هل سيدوم الكذب إلى الأبد؟. ليقرر الشاب إنشاء السر(موت أخته)، فاختار بوابة مند لليوم قادما من الأرض المحتلة ذاهبا إلى الجانب آخر من مدينة القدس ليواجه الحقيقة فيجد خالته تخفي عليه خبر وفاة أمه فيتفاجأ الطرفين بالحقيقة المخبأة.

لكن الشاب في نهاية القصة يرى ضرورة تحرير نفسه من الكذب ومن القدر الأسود الذي حمله وحيداً، فيعترف لأمه أنّ أخته في قبرها الذي لا يجد من يضع عليه زهرة في كل عيد. وكأنه حاول هنا القول بأن تحرير فلسطين سيبدأ وراء البوابة منذ ليوم، فلن يفيد الحزن على الماضي والنصر على ما فات.

ففي قصة " الأفق وراء البوابة" يصوّر كنفاني المعاناة التي مرّ بها الشعب الفلسطيني بعد أحداث النكبة عام 1948م، والصعوبة التي واجهت شخصيات القصة بالتنقل بين المدن، فتحدثت القصة عن شاب سافر إلى عكّا لرؤية الفتاة التي ستكون شريكة حياته المستقبلية، وحالت الظروف دون عودته إلى مدينته إلى أن تموت أمه وأخته ولا يبقى من يشاركه مرارة الفقد سوى خالته.

_ السلاح المحرّم:

هذا العنوان قدم تركيبا متميزا، يحمل عنوان قصة جاءت جملة اسمية، متكونة من مبتدأ محذوف وخبر وصفة للخبر، وهذا العنوان في بنيته التركيبية جاء متكون من أيضا من مبتدأ محذوف تقديره (هذا) السلاح: خبر لمبتدأ محذوف، أما (المحرم): صفة لسلاح.

" السلاح المحرم ": عنوان جاء معرفة، ليوحي لنا أن موضوع القصة معروف، ألا هو القضية الفلسطينية، التي صارت معروفة لدى الجميع، وما خلفته من حزن وأسى في نفوس كافة الفلسطينيين والعرب، ويوحي لنا البعد السلبي لكلمة " السلاح " بالصراع والقتل والموت والحرب والفتن وغيرها....وذلك مرتبط بالقصة. فالقصة محورها الأساسي الصراع على امتلاك البندقية التي أتى بها الرجل الأجنبي الذي يريد أن يسكن بالقرية، وهو غير مرغوب فيه من طرف أهل القرية كونه مسلح، ولكن تم سرقة بندقية هذا الرجل من طرف بطل القصة " أبو علي " لكي يدافع بها عن نفسه وعن القرية، ولتكون حلاله كما قال في القصة: "... صاح أبو علي مرة أخرى: سآخذها أنا يا شباب. وآتاه صوت من طرف اكرر لحلقة المقابلة: أنت سيدها يا أبا علي.

كرر بصوت أعلى كأنما ليبعث الحماس في نفسه:

سأخطفها منه.....

أنه حلالك..... صاح مؤكدا: أنها حلالي، سآخذها..."[33] لكن بعد سرقتها ظهر أن هناك خونة بينهم في القرية وأرادوا سلب أبو علي البندقية كونه سرقها وهي ليست حلاله كما قال، وهذا يعني أنها محرمة عليه وكما ذكر في القصة: " قال أحد الرجلين بصوت جاف ومدّ ذراعيه باسطا كفه على وسعا كما لو أنه كان يتوقع أن يضع أبو علي البندقية فيها....هاتها....ألا تسمع ؟

بلع أبو علي ريقه وقال بصوت واهن:

أنها حلالي...

هاتها..."[34] (35)

سيكون الكاتب في هذه القصة رمزيا بامتياز، فأبو علي الرجل المتوعّك دائما، والذي لا يمثّل إلا هامش القرية إزاء " شلة " المختار والضابط، يحاول وينجح، في أن ينتزع السلاع من الجندي، تحت تشجيع وهتاف أهل القرية، لكنه بالمقابل يتعرض للمطاردة من قبل الكلّ:

المختار: الذي يمثل السلطة الوطنية

الضابط: الرمز الذي أبقاه الكاتب مهما، في إشارة ذكية منه إلا أن الحكم العسكري دائما يعادي قيم الحرية، فلن يختلف الوضع إذا كان هذا الضابط من ضباط الاحتلال أو ضباط السلطة الفلسطينية.

عبد الله وفاروق: اللذان يكرهان بعضهما كراهية مقيته "[35]، لكنهما يتحالفان فيطاردان أبو علي، وهي إشارة المخالفات التي تجريها مختلف الفصائل الفلسطينية سعيا خلف مصالح الفصيل.

الخيط الرابط بإحكام بين هذه الرموز هو البندقية التي تمثل نسق المقاومة، فسعيّ هؤلاء على اختلاف توجهاتهم أن ينتزعوا من أبو علي البندقية التي " ضمها إلى صدره "[36]، وهو تشريح بالغ الدقة لما هو عليه النضال الفلسطيني، هذا النضال الذي بدأ موحدا لا همّ له سوى الإنسان وتحرير الأرض.والذي انتقل إلى نضال تحكمه مصلحة الفصيل أولا، وهي مصلحة تحددّها الجهة التي تموّله ماديا، ويبلغ أن تتطرّف بعض الفصائل باسم قيم الإنسانية والتعايش والقيم النبيلة إلى أن تعقد صفقات مع العدو ذاته.

_ ثلاث أوراق من فلسطين:

يبدو أن عنوان هذه القصة جاء أيضا في صيغته النحوية جملة اسمية مكونة من:(ثلاث: مضاف، أوراق: مضاف إليه في محل رفع مبتدأ محذوف، ومن فلسطين شبه جملة في محل رفع خبر للمبتدأ المحذوف).كما حمل هذا العنوان في بنيته الدلالية ثلاث أوراق من فلسطين "تنوعت بين ورقة من غزة، ورقة من الرملة، ورقة من الطيرة، و كل ورقة حملت عنوانا فرعيا لقصة وقعت أحداثها في فلسطين.وعند تأملنا مفردات هذه العناوين الفرعية للقصص الثلاث، نجد:

الرملة: من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع اليوم على بعد 38 كم شمال غرب القدس. تأسست سنة 716 م على يد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وسميت نسبة إلى الرمال التي كانت تحيطها. تقع الرملة على الطريق القديمة بين يافا والقدس ولذلك كانت موقعا استراتيجيا مهما وأصبحت مركزا إداريا للمنطقة بعد تأسيسها بقليل.

الطيرة: تطلق على عدة تجمعات سكانية في فلسطين، منها منطقة الطيرة وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة بيسان، وقرية طيرة دندن وتقع شمال شرقي الرملة وشرقي يافا. ثم بلدة طيرة حيفا، وتسمى أحيانا

"طيرة اللوز" لكثرة أشجار اللوز فيها.وأيضا طيرة بني صعب المثلث طولكرم و طيرة رام الله غزة: مدينة ساحلية فلسطينية، من أكبر مدن قطاع غزة وتقع في شماله، تبعد عن مدينة القدس ب 78 كم، وهي مركز محافظة غزة إداريا، وأكبر من السلطة الفلسطينية من حيث تعداد السكان.كما تعتبر مدينة غزة من أهم المدن الفلسطينية؛ لأهمية موقعها الإستراتيجي والأهمية الاقتصادية والعمرانية للمدينة، بالإضافة إلى كونها المقر المؤقت. للسلطة الوطنية الفلسطينية، ووجود الكثير من مقراتها ووزارتها فيها

أما في حديثنا عن كل قصة، فغسان كنفاني يتذكر في قصة " ورقة من الرملة " طفولته عندما كان في التاسعة من عمره، ومشهد جنود الاحتلال وقد حاصروا الأهالي وأجبروهم على رفع أذرعهم ووقوفهم في الشمس، ورؤيته لبعض الفتيات الفلسطينيات والدم ينزف منهن.

وفي " ورقة من الطيرة": يحمل لنا هذا العنوان قصة العجوز الفلسطيني الذي حارب اليهود في الطيرة وفي حيفا. ويسخر «من الجالسين على مقاعد مريحة ويسألون: كيف ضاعت فلسطين؟»، كما سخر من قادته الفلسطينيين الذين يرفضون أي صوت غير صوتهم، ولا أي رأي غير رأيهم. ويضيف: «إنّ المسؤولين لم يحافظوا على أبطالهم ولم يكونوا على معرفة بأصول المعارك. أهملونا وشهونا بالجزارين ولذلك هم لا يحتاجون إلينا». ويقول أيضاً: «إذا كان الفدائي لا يعرف أصول الحرب، فبماذا نحارب؟ وهل نحارب بمحاضر جلسات جامعة الدول العربية؟». ويتساءل: «هل نحارب بالورود؟»، ثم يقول لابنه: «هذا هو ما أضاع فلسطين. وهل علينا أنْ نحارب اليهود كما يفعل محررو الجرائد في غرفهم؟..«

يشير "غسان كنفاني" إلى الانحراف الصارخ المتسلط على أهداف النضال، بعد انغماسهم فيما يسمى النضال سياسي السلمي

كما يحمل عنوان "ورقة من غزة" أحداث قصة تدور حول صديقين من مدينة غزة، قرّرا السفر إلى الكويت للعمل وجمع المال، ومن ثم السفر إلى كاليفورنيا لإكمال الدراسة الجامعية، وبذلك يصبحان غنيان، وبعد عام سافر مصطفى إلى كاليفورنيا بينما ذهب صديقه ليقضي الإجازة في غزة، وفي نهاية القصة رفض أن يغادر غزة بعدما شاهد كيف ضحّت ابنة أخيه الشهيد بنفسها لإنقاذ أخوتها، والتي انتهى بها الأمر بفقد ساقيها بعد اعتداء إسرائيلي وحشي.ثم أرسل إلى صديقه الفلسطيني المقيم في أميركا يطلب منه العودة إلى فلسطين.

تعد قصة ورقة من غزة واحدةً من قصص غسان كنفاني المدرجة في مجموعته القصصية أرض البرتقال الحزين، والناظر إلى عتبة العنوان يجد أنّه يكشف بوضوح أنّ هذه القصة صادرة عن أرض غزة، فالقاص وظّف عنوانه ليكون كاشفًا وعن جانب ضئيل من قصته[37] وهو بذلك حقّق عددًا من أهداف العنوان، فهو استطاع أن يُشهر جزءًا من محتوى قصته، وجعل هذا العنوان يُغري القارئ بالكتابة لا سيما

القارئ صاحب القضية والراغب في الاستزادة عن مأساة فلسطين في كافة أجزائها، وما يجري فيها من معاناة نتيجة الاحتلال.[38]

_ الأخضر والأحمر:

نجد هذا العنوان رمزي بامتياز، فاللون الأخضر له دلالات عديدة، ويرمز للعديد من الأشياء، فهو يرمز للحياة والعيش والفرح ويبعث التفاؤل، ويرمز للأرض فهو لون الأرض الخضراء في فصل الربيع فهو لون شجرة الزيتون وثمارها، واللون الأخضر يرمز لربوع وسهول أرض فلسطين الخضراء، ويعني أيضا الخير والنماء والبركة، وفي مقابله نجد اللون الأحمر الذي يسعى للتعبير عن مشاعر رهيبة، فاللون الأحمر يرمز إلى لون الدم، دماء الفلسطينيين التي نزفت عند الصراع مع اليهود من أجل وطنهم ودفاعا عن حقوقهم، واللون الأحمر يرمز للموت والخوف، وهو يرمز لجدول الدم الذي تحدث عنه الكاتب في القصة: " كل لحظة كل ساعة كل يوم...ووراءه كان يجري جدول الدّم كأنه يلاحقه، كأنه قدره "[39] فالكاتب في هذا العنوان يرمز لدماء الشهداء الفلسطينيين الذين ماتوا من أجل أرضهم ودفاعا على ماكانت عليه فلسطين قبل دخول اليهود عليهم وبداية الصراع والقتل وسقوط الشهداء ونزيف دماء الشهداء، وهنا تظهر الثنائية الضدية بين دلالة رمز اللون الأخضر واللون الأحمر.

قصة " الأخضر والأحمر" حملت ثلاث عناوين فرعية توزعت على ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: النزال: قصة بدأها الكاتب بالحديث عن شخص كان عائداً إلى بيته وزوجته وابنه بعد غياب طويل، دون ذكر أي تفاصيل متعلقة به فلم يذكر الاسم ولا الزمان ولا المكان، فوصف فقط جدول الدم الذي سال من جثة هذا الشخص.

الفصل الثاني: جدول الدم: يصوّر الكاتب تجمع الناس حول جثة الشخص المجهول، في انتظار سيارة الإسعاف على أمل إنقاذه. وحدث أمر غريب جداً، فقد ولد طفل صغير من جبين هذا الشخص يحمل ملامح رجل حقيقي، وبنية صغيرة ولكنها متناسقة. وبعد أن غادر الجميع لم يعرف الطفل لأين يذهب، لكنه سار في طريقة يوماً بعد يوم وكان يجري خلفه جدول الدم.

الفصل الثالث: الموت للندّ: تابع الكاتب قصة المخلوق الصغير المجهول الذي وصفه بالمخلوق الأسود تبعاً إلى لونه، وقد أمضى حياته تحت التراب يلاحقه جدول الدم، ومر عليه أربعة عشر عاماً ولم يعطه أحد اسماً ولا زال يعيش في الظلام إلى أن يموت في نهاية القصة.

أرض البرتقال الحزين:

"أرض البرتقال الحزين": عنوان يصادفنا للمرة الثانية، يختاره القاص عنوانا رئيسيا لمجموعته القصصية، ليترأس صفحة الغلاف الخارجي، ثم يصادفنا للمرة الثانية نفس العنوان " أرض البرتقال الحزين

" داخل الكتاب، اختاره أيضا الكاتب ليكون عنوانا داخليا لقصة من مجموعة قصصه. فهذا العنوان شكّل نصا موازيا للنص الأصلي، لينتج لنا صورة متكاملة تربط بين العنوان ونص القصة. عنوان كشف لنا عن ارتباط جوهري بين ثلاث مفردات في بنيتها الدلالية, كان عنوان منطلق القصة القصيرة في المجموعة الخارجية والداخلية بحيث يتواجد في مكانين الأول على الغلاف الخارجي للمجموعة القصية ودلالته أكثر اتساعا وأعمق إيحاء، فهو يعطي لنا إشارة سيميائية مختصرة على المجموعة الداخلية، والثاني يكون على رأس القصة داخل المجموعة فيكون حامل لرسالة مشحونة بعلامات دالة على ما يدور في متن القصة، فبوجود العنوان نخترق مغالق النص بهدف تجزئته ومن ثمّ تركيبه، لكي يتضّح لنا المعنى والدلالة التي يحيل لها النص، ويعتبر العنوان من أهم العتبات في بناء ودراسة النص الأدبي، وكذلك يقتحم أغوار النص وفضائه الرمزي والدلالي.

فنجد أن مفردة "البرتقال" قدمت في هذه القصة مدلولات عدة تضيف إيحاءات كثيرة تحيط بالنكبة الفلسطينية. ذُكر "البرتقال" في القصة في مواضع كثيرة، وشهدت تنويعات دلالية شكلت في نهاية المطاف معادلاً موضوعياً لمعاناة الفلسطينيين منذ بداية النكبة، وصولاً إلى نهاية القصة بحيث تشكل أيقونة البرتقالة الكلية معاناة الفلسطيني المصدوم، الذي يتحول من الامتلاء إلى الجفاف واليباس.

جمع عنوان هذه القصة بين ثلاث مفردات (أرض، البرتقال، الحزن)، اختصرت لنا قصة "أرض البرتقال الحزين" والتي حكت لنا رحلة عائلة الكاتب من عكا وسكناهم في الغازية، وكانت صرخة عالية للمقاومة الفلسطينية، و"تُعدُّ أول الأعمال التي غاصت في قلب المخيمات واخترقت قلوب وعقول الفلسطينيين المنكوبين ورسمت أحاسيسهم وانفعالاتهم التي كتبتها دماء ذويهم".

في بداية القصة كان الرجل ينظر إلى البرتقال، نظرة وداع حزين، تتفاوت ما بين اليأس والشك في العودة من جديد. أما البرتقالة التي احتفظ بها معه إلى النهاية، فمتحولة ومتبدلة، مثلما تبدلت به الحال. امرأة أخرى تأخذ برتقالة أخرى تريد أن تأكلها. إن البرتقال لن يبقى كما هو عليه، لأن الأيدي التي ترعاه وتسقيه وتهتم به قد تغيرت، مثله مثل المياه التي تعكرت في قصة أخرى وأصبحت ملوثة، إشارةً إلى اختلاط الشعب الفلسطيني باليهود رغماً عنه.

تبدأ القصة بمشهد البرتقال النضر الجميل: « وبدا لي ساعتذاك أن البرتقال شيء حبيب.. وأن هذه الحبات الكبيرة النظيفة هي شيء عزيز علينا». وتنتهي القصة إلى برتقالة جافة حزينة أخذها الأب معه من مدينته إلى منفاه الجديد. إن البرتقالة، هنا، ليست غير معادلٍ موضوعي للفلسطيني الذي بات يذبل ويجف مثل البرتقالة الجميلة في بداية القصة: «لقد دخلت الغرفة متسللاً كأنني المنبوذ... ولَما لامست نظراتي وجه أبيك يرتجف بغضب ذبيح.. رأيت في الوقت نفسه المسدس الأسود على الطاولة الواطئة.. وإلى جواره برتقالة.. وكانت البرتقالة جافة يابسة.

قتيل في الموصل:

يقول الدكتور" وليد جاسم الزبيدي" في قراءة في غابات الموصل ":" والقصة القصيرة التي استهوتني قراءتها تحمل عنوان(قتيل في الموصل)، ولعل هذا العنوان كان السبب لأن أنتقي هذه القصة وأن أقرأها قراءة جيدة، حيث أن العنوان يشير الى حدث في مدينة الموصل، والموصل مدينة ومحافظة من محافظات العراق، وأحببت أن أتعرف على هذا القتيل، ومنْ هو ولماذا الموصل؟؟"[40]

لم يكن الشاعر الفلسطيني كنفاني موفقاً في هذه القصة القصيرة خصوصا،" لأنه انتقى فترة ذهبيةً في تاريخ العراق المعاصر وجرّدها من جمالها ومنجزها، وحفر فيها الوجه القومي أو القناع القومي المقيت، الذي جعل من الأمة العربية الواحدة أمماً وشعوباً وقبائل، وجعل طريق فلسطين يمر في مضايق ومتاهات لا تعلم حدودها ولا مسمياتها..واختار تاريخا ليضرب فيه ثورة العراق فسلّط الضوء على أحداث الموصل وسمّاها بـ(الثورة)[41]

هكذا أمسك كنفاني التاريخ وقلب صورته، وصاغ عنوان قصته على أحداث الموصل التي كانت وصمةً وليست تاريخا مجيدا للقوميين، بل وأن العراق وأهل الموصل لم يكونوا في الجانب الآخر أو المضاد لثورة 14 تموز المجيدة، التي جعلت العراق في مصاف البلدان العربية المستقلة والتي صاغت القوانين والقرارات لصالح الشعب العراقي في مجالات النفط والزراعة والصناعة والإسكان واختطت سياسة خارجية واضحة.. قام المؤلف بفبركة الأحداث حسب هاجسه (القومي).. " أنها قصة بين مجموعة قصص لا أدري كيف تم اختيارها وعلى أية أسس، فنية، أو تاريخية، أو منهجية فهي لا تحمل فن القصة، ولا ثقافتها، فهي سرد تاريخي وفق وجهة نظر بالمقلوب، ولا تحمل منهجية ولا فلسفة واضحة، وليس فيها من الإبداع في شيء بل جاءت سُبةً لكاتبها"[42]

ففي قصة " قتيل في الموصل" تبدو قصة صديق محدد وله وجود، يقول في مطلعها «حين كتبت هذه القصة في 1959 أهديتها إلى صديقي م، الذي ذهب إلى الموصل ثم ضاعت أخباره، ولكنني لم أنشرها حينذاك لأن قصة صديقي م لم تكن قد انتهت بعد... كنت أريد أن يصير بوسعي صياغة الإهداء بالشكل التالي.. إلى صديقي م وقبره يغتسل بالشمس الحقيقية فكان عليّ أن انتظر حتى 8-3-1963».

اختصر الكاتب أحداث القصة في عنوانه الثنائي " قتيل في الموصل "، حول طالب عربي عاش في العراق إبّان تلك الحقبة الزمنية، حقبة التغيير العراقي، حيث هجر العراق الملكية وأصبح في معسكر الجمهوريات المستقلة، وبدأت الحياة تسري في جسده، وصوّر حياة هذا الطالب الذي قال عنه أردنياً، ثم وصفه بعد حين بأنه من اللد، وفي نهاية القصة تم قتل هذا الفلسطيني من قبل الجراد والصراصير لكونه فلسطيني، وعدم إيمان القائمين على دست الحكم بالعرب، فهذا يعني أن عراق ثورة 14 تموز ليس مع العرب، بل وتقتل كل ماهو عربي حتى ولو كان إنساناً!.، وهكذا كان المبدع الراحل يمزج القضية الفلسطينية وهمومها بالواقع العربي، ولكن في شكل أدبي رفيع.

_ لا شيء:

ختم الكاتب مجموعته القصصية بعنوان مختصر في كلمتين (لا: لام نافية للجنس، شيء: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب)، في حين حظيت مفردة (الشيء) للمرة بمكانة في أعمال غسان كنفاني الأدبية، فقد كان لهذه المفردة دورا كبيرا في مسرحية " القبعة والنبي" وكان لها شأن فعّال مع المتهم وبقية شخوص المسرحية، وها هي مرة أخرى تتصدر عمله القصصي القصير لتكون عنوانا له. " لا شيء" هو عنوان القصة الأخيرة في مجموعته القصصية القصيرة " أرض البرتقال الحزين" تلك القصص التي دارت في مجملها حول الهم الوطني بكل ما يحمله من أبعاد إنسانية واجتماعية ولغوية، وقد أورد في مقدمتها عبارته الإخبارية التي جسدت الحدث القصصي إلى ابعد حد، ونقلت المشهد السياسي والاجتماعي للمتلقي بقوله: " نقلت الأنباء أن جنديا على الحدود صب فجأة رصاص رشاشه على الأرض المحتلة فاقتيد إلى مستشفى الأمراض العصبية".

ويمضي غسان كتفاني في قصته بين السرد والحوار واصفا المشاهد والموقف لكل من الممرض والجندي، فيفصح عن رغبة الجندي في الاستمرار بصب رصاصه عن وعي، وعن سبق إصرار وترصد، كما يظهر وعي هذا الجندي عندما يقول للمرض: إن المصاب بانهيار عصبي لا يقدم على إطلاق النار بشكل متعمد في حين قام هو بذلك غير آبه بالنتيجة التي سيواجهها من رؤسائه، كما تكرر ذكر مفردة الشيء أكثر من مرة في القصة، فقد وظفها الكاتب في الأسئلة التي كانت تتردد على ألسنة الممرض والجندي عندما يقول: أتعرف شيئا؟ وهل شعرت بشيء؟ ولم أشعر بشيء.

إنها قصة البندقية الفلسطينية مع العدو المحتل، وقصة الثورة الفلسطينية مع المحيط العازل الذي يحول دون تمكين الثوار من القيام بمهامهم تجاه الأرض والشعب، كما تلخص ما أُلْحِق من تهم بالجنود العرب الذين أقدموا على إطلاق النار على جنود العدو مخالفين بذلك ما صدر إليهم من تعليمات وأوامر تمنع فعل ذلك، والمتفحص في تلك العبارة التي تصدرت القصة

" لا شيء " عنوان اختزل فيه الكاتب حكاية ما يتعرض له الجنود الثائرون المؤمنون بقضايا أمتهم وتكشف عن المصير الذي يواجهه أولئك الجنود وما ينعتون به من نعوت وتشخيص مفارقة محزنة ومخزية، تلك التي تجسد حال النظم المستسلمة، وتنعتها بالعقلانية، بينما يُنعت العقلاء الثائرون بالجنون والانهيارات العصبية، فالإقدام على إطلاق النار صوب العدو وفي الأراضي المحتلة في عرف أولئك يعد ضربا من الجنون وفقدان للسيطرة على الأعصاب، لكن الذين يأتمرون بالأوامر وينفذونها هم من العقلاء الذين يدركون بان الامتثال للأوامر يمثل قمة الالتزام والعقلانية.

خاتمة:

من خلال جولتي في رحاب فضاء المجموعة القصصية " أرض البرتقال الحزين "، خلصت إلى نتائج أهمها:

مثلت تجربة غسان كنفاني السردية نموذجا للقص الفلسطيني المقاوم، ما بوأه مكانة مهمة في الذاكرة الفلسطينية والعربية، فعد لسانا من ألسنة فلسطين تحمل عبء القضية.

أما مكانته الأدبية، فكانت تجربته ذات وعي جمالي متميز وحرص على كتابة سرد جديد، ولعل مجاميعه القصصية تحمل هذه البذور الجمالية بوضوح، فغسان لم يكن كاتبا بسيطا يكتفي باستيفاء اليومي والمباشر ونقله، وإنما كان يحرص على إضفاء الطبيعة الأدبية على أعماله، وهو ما رصده في مجموعته القصصية " أرض البرتقال الحزين ".

تعد مجموعة " أرض البرتقال الحزين " القصصية من أشهر مؤلفات " غسان كنفاني " وهي عمله الثاني القائم على تصوير القضية الفلسطينية، إذ كانت كلماته صريحة ذات وجع قد يصيب القارئ في عقله قلبه. وهو يقدم لنا مجموعة من القصص التي تصور وتجسد مأساة شعبنا الفلسطيني، وتتراوح أحداثها بين يافا وعكا وبيروت.

وفي الإجمال، رواية "أرض البرتقال الحزين" ترسم في قصصها المختلفة الأوجه المتعددة لمأساة الفلسطينيين، وهي محاولة لتأسيس رؤية غسان كنفاني الإبداعية للأفق الفلسطيني الذي يسعى إلى رسمه وتصويره والتعبير عنه بكلماته، وهذا الأفق يأتي ممتزجًا وملتصقًا بالذاكرة، وكأن الفلسطيني لا يمكنه التحرر من ذاكرته في لحظات الذهول أمام المأساة التي ما زالت مستمرة ومتواصلة حتى الآن..

شكلت قصصه القصيرة استجماع للحظات تاريخية وتجسيد للذاكرة الفلسطينية ونضال الفلسطينيين، كما قدّم لنا عنوان كل قصة برمزيته ودلالته المشحونة صورة الواقع الفلسطيني والعربي بأسره.

العنوان بوابة الولوج لكل نص، فهو يحمل شحنات وأفكار دلالية وإشارات وعلامات متنوعة ومختلفة، العنوان أول عتبة يتطرق إليها القارئ بحيث يضيف له إيحاءات دلالية حول مضمون النص لفك مغالقه والغوص بين طياته.

لم يكن اختيار الكاتب " غسان كنفاني " لعناوين مجموعاته القصصية عبثا، بل جاء الاختيار وفق ضوابط وقواعد توافق مع طبيعة النص القصصي و ما يهدف من خلاله. فكل عنوان يشير إلى الكثير من الايحاءات والدلالات المعبرة عن حزن وآلام الشعب الفلسطيني.

جاءت عناوين القصص في بنيتها التركيبية جملا مركبة من كلمتين أو أكثر، كلمات موحية وملخصة لمحتوى القصة / النص.

تغير العنوان القصصي في بنيته التركيبية من جمل بسيطة إلى جمل مركبة من كلمتين أو أكثر، فجاءت عناوين موحية وملخصة لمحتوى النص/القصة.

هوامش وإحالات المقال

[1] - نعيمة بوسكين، سؤال الثقافة في السرد الفلسطيني،قراءة ثقافية في المجموعة القصصية (أرض البرتقال الحزين) لغسان كنفاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 11، عدد 2،، السنة 2022، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر)، ص 467.

[2] - جميل الحمداني، السيميوطيقا و العنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 03، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، مارس 1997، ص 79.

[3] - غمام حامد تبر، شنوف عواطف، سيمياء العنوان في المجموعات القصصية لغسان كنفاني أنموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، 2019_2020، ص 26

[4] - المرجع نفسه، ص 26.

[5] - عبد الناصر حسن محمد، سيموطيقا العنوان فيشعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، القاهرة،2002، ص09المرجع نفسه، ص29.

[6] - محمد يوسف نجم،فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د، ط، ص7.

[7] - المرجع نفسه، ص 7.

[8] - ينظر عدنان كنافي، القصة في الشتات الفلسطيني، موقع مؤسسة فلسطين للثقافةhttps://www.thaqafa.org ،ص01

[9] - المرجع نفسه، ص01.

[10] - رضا عامر،حاتم كعب، مقاربة سيميائية في عنوان " ديوان بسمات من الصحراء " لحسان درنون، مجلة معارف، العدد 4، بسكرة،الجزائر، ص05.

[11] - خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق، د ط، 2007، ص80

[12] - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، قصص مؤسسة الأبحاث العربية ش،م،م، بيروت، لبنان، ط4، 1987، ص08.

[13] - جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص 79

[14] - السابق ص 79

[15] - السابق ص 79

[16] - السابق ص 79

[17] - جيرار جينيت،عتبات من النص إلى المناص،دار العلوم العربية، ناشرون الجزائر، ص 68

[18] - الشريف حاتم بن عارف العوني، العنوان الصحيح للكتاب، دار عالم الفوائد، ط1، 1998، ص17

[19] - خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، ص 80

[20] - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، ص07

[21] - نعيمة بوسكين، سؤال الثقافة في السرد الفلسطيني،قراءة ثقافية في المجموعة القصصية (أرض البرتقال الحزين) لغسان كنفاني، ص 769.

[22] - المرجع نفسه، ص 467

[23] - خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، ص68

[24] - المرجع نفسه ص 7.

[25] - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين،ص08

[26] - الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ص 268.

[27] - المصدر نفسه، ص8.

[28] - زين الدين عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، مح، يوسف، الشيخ محمد المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط1999،5، ص37

[29] - الفيروز آبادي، قاموس المحيط، ص276.

[30] - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين قصص، ص 47.

[31] - المصدر نفسه، ص09

[32] - المصدر نفسه، ص 28.

[33] - المصدر نفسه، ص 28

[34] - المصدر نفسه، ص 32

[35] - المصدر نفسه، ص 38-39.

[36] - المصدر نفسه، ص 69.

[37] - وليد جاسم الزبيدي، كتاب المدى، (أرض البرتقال الحزن)، قراءة في غابات الموصل، 5_4_ 2009، ص 01

[38] - المرجع نفسه، ص 01

[39] - غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين قصص، ص 29.

[40] - وليد جاسم الزبيدي، كتاب المدى، (أرض البرتقال الحزن)

[41] - المرجع نفسه، ص 2

[42] - المرجع نفسه،ص 3.

قائمة المصادر و المراجع:

1- نعيمة بوسكين، سؤال الثقافة في السرد الفلسطيني،قراءة ثقافية في المجموعة القصصية (أرض البرتقال الحزين) لغسان كنفاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 11، عدد 2،، السنة 2022، جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر).

2- جميل الحمداني، السيميوطيقا و العنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 03، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، مارس 1997.

3- غمام حامد تبر، شنوف عواطف، سيمياء العنوان في المجموعات القصصية لغسان كنفاني أنموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، 2019_2020.

4- عبد الناصر حسن محمد، سيموطيقا العنوان فيشعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002.

5- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

6- عدنان كنافي، القصة في الشتات الفلسطيني، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة https://www.thaqafa.org

7- رضا عامر،حاتم كعب، مقاربة سيميائية في عنوان " ديوان بسمات من الصحراء " لحسان درنون، مجلة معارف، العدد 4، بسكرة،الجزائر.

8- خالد حسين حسين، في نظرية العنوان، دار التكوين، دمشق، د ط، 2007.

9- غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، قصص مؤسسة الأبحاث العربية ش،م،م، بيروت، لبنان، ط4، 1987.

10- جيرار جينيت،عتبات من النص إلى المناص،دار العلوم العربية، ناشرون الجزائر.

11- الشريف حاتم بن عارف العوني، العنوان الصحيح للكتاب، دار عالم الفوائد، ط1، 1998.

12- الفيروز آبادي، قاموس المحيط.

13- زين الدين عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، مح، يوسف، الشيخ محمد المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط1999،5.

14- وليد جاسم الزبيدي، كتاب المدى، (أرض البرتقال الحزن)، قراءة في غابات الموصل، 5_4_ 2009.